مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
مجلد 08/ العدد: 01 جانفي (2022) - ص 79- 90

الحجاج ومقاربة الخطاب الأدبي في ضوء البلاغة الجديدة

(Pilgrims and literary discourse approach in light of the new rhetoric)

قزيـم نورة[1] جعيرن مهوب[2]
[1] n.gozim@lagh-univ.dz [2]mihoubjirane@gmail.com
مخبر علوم اللسان
جامعة الأغواط عمار ثليجي/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/21 تاريخ القبول: 2021/09/15 تاريخ النشر: 2022/01/23

ملخص البحث

الخطاب عبارة عن عملية تواصلية وتفاعلية وما يضاف إلى الخطاب الأدبي أنه عملية جمالية واخذ الحجاج في العصر الحديث المحاولة على الاستحواذ على الخطاب والتأثير في المتلقي، أخذ الحجاج الوجه الجديد للبلاغة الحديثة، بما يحمله أيضا من تشكل لغوي سامي يساهم في بناء الخطاب الأدبي .

الكلمات المفتاحية :الحجاج، البلاغة الجديدة، الخطاب الأدبي.

ABSTRACT:

The discourse is a communicative and interactive process, and what is added to the literary discourse is that it is an aesthetic process.

Key words: pilgrims, new rhetoric, literary discourse، Sheikh Ibrahim's speech

[1]- المؤلف المرسل: قزيـم نورة

1. مقدمة:

شغلت البلاغة الجديدة حيز واسعا في المباحث النقدية المعاصرة، كونها حوت في إطارها المعرفي الوجه الجديد للبلاغة التي طالما كانت الوجه السامي للطبيعة البلاغية للخطاب بوجه عام والخطاب الأدبي بوجه خاص، شكلت نظرية الحجاج في منعرج البلاغة الحديثة حدثا هاما وجدليا وذلك بإعلان رائدها بيرلمان أن الحجاج هو الوجه الأول للبلاغة الحديثة .

فهل نستطيع أن نقول أن الحجاج أيضا وجه لبلاغة جديدة للخطاب الأدبي ؟ و هل نستطيع بآلياته أن نؤثر في المتلقي جماليا وبلاغيا ؟

2. الخطاب والخطاب الأدبي :

الخطاب مصطلح لساني حداثي يتميز بفضفضة واسعة في معناه، لأنه أثناء تركيبه يخضع إلى المتغيرات الطارئة التي يخضع إليها الإنسان في حد ذاته، من متغيرات اجتماعية و ثقافية وحتى نفسية، فمفهوم الخطاب مفهوم متشابك مغطى بمفاهيم أخرى أيضا « يخضع في مفهومه إلى الاختلافات الإيديولوجية ، كما أنه يتداخل في مفهومه الألسني تارة مع القول وتارة مع النص وتارة مع السيميائية السردية»[1] الأصل في الخطاب أنه وجه دلالي لمحتوى ما تفيض في جوانبه وأجزاءه معالم الحياة، فهو الجانب اللغوي منها، والنظام الألسني المعبر عنها والمؤثر فيها، إنه نظام تواصلي مشترك بين الحياة .

والأصل في الخطاب أيضا أن يكون لحظة تشاركية وتأثيرية بين « متكلم وسامع يسعى فيهما الأول التأثير على الثاني»[2]، حيث يبرز لنا مفهوما جليا في عملية الخطاب وهي محاولة المتكلم أن يؤثر بذات السامع بما يحمله ذلك الخطاب من شحن لغوي دلالي، أي أن أي خطاب بغض النظر عما يحمله هو بنية دلالية الأصل فيها التفاعل والحجاج والتواصل بين قطبيه، إضافة إلى أن محاولة التأثير تفتح لنا بابا آخر هو الحجاج الذي هو الوجه الإقناعي في عملية التخاطب كما أنه هو الجزء المشترك الذي يرى في مضمون الخطاب الأصل به التفاعل ومحاولة التأثير من قبل الباث .

أي أن الخطاب عبارة عن جملة من التفاعلات والتحولات تطرأ عليها الحركة والتحول أثناء الصوغ الخطابي فتتحول اللغة إلى خطاب تفاعلي .

والخطاب لدي الألسنين عبارة عن وحدة لغوية مكتملة تكون أكثر ارتباطا وتفاعلا في الخطاب الأدبي حيث أن «دراسة الأدب بوصفه خطابا معناها النظر إلى النص، على أساس أنه يعقد الصلات بين مستخدمي اللغة، لا الصلات المتمثلة في عملية الكلام فحسب، بل الصلات الخاصة بالوعي والإيدلوجيا، وعندئذ يكف النص عن أن يكون شيئا ملموسا ويصبح نشاطا فاعلا أو سلسة من التغيرات »[3]، هذه السلسلة تشترط على البنية اللغوية للخطاب الأدبي أن تكون بنية مفاعلة بما

تعقده من صلات بين المستخدمين، وصلات بين الوعي بذاته وصلات خاصة بالايدلوجيا، أيضا بما تعقده من تحورات فكرية تساهم فيها فاعليته، والتي هي ظاهرة أكثر إذ كانت موسومة بالحجاج .

إن الخطاب الأدبي لا يخرج عن الحاجة عن الكلام والتعبير، بطريقة جمالية حيث تختلف اللغة الأدبية في محتواها عن اللغة العادية التواصلية، ولكنه لا يخلو من الوظيفة التواصلية، التي يمكن أن تكون ظاهرة خفية فيه أو ظاهرة إن جعلها الأديب وفق صيغة حوارية، كما أنه لا يبتعد عن غرضه التواصلي «فهو لا يستعمل العبارات اللغوية إلا بدافع الحاجة التواصلية، فالدلالة على ما في النفس من الحاجة إلى القول تتولد العبارة اللغوية»[4].

و ما يصنعه الخطاب الأدبي ويشكله ويكون رابطا بين الأديب والمتلقي، هو تلك الصورة الأدبية التي تكون عبارة عن صورة لغوية متشكلة بحرفية مطلقة نافذة، فالصورة التي يصنعها و المتشكلة من نظام لغوي ودلالي تحيل إليه العلامات يصنع لنا خطابا أدبيا تفاعليا يسعى إلى التأثير على المتلقي، من أجل أن يسلّم في كثير من الأحيان بقضاياه، وهذا ما نجده ماثلا في الخطابات الأدبية ، التي تدخل في قضايا الالتزام ، كالأدب الثوري الذي يسعى إلى رفع قيم إنسانية، كالعدل، والحرية، والثورة على العبودية و الاحتلال .

هذه المعطيات في الخطاب الأدبي نجدها أيضا قائمة من مفهوم الوظائف لدي ياكسبون فيما أسس له من دراسة لمجموعة الوظائف الستة، الموجودة في جميع الخطابات، فإلى جانب الوظيفة الشعرية للخطاب الأدبي، نجد الوظيفة الإنفعالية والتي تكون قائمة في جميع الخطابات بما يكون أيضا موجودا في الخطاب الأدبي، كوظيفة قائمة فيه « فهي تركز على المرسل إليه، وتسعى إلى أن تعبر بصفة مباشرة ما يتحدث عنه، وهي تنتزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع »[5]،فالوظيفة الإنفعالية قائمة هنا بما يصبح به الخطاب والخطاب الأدبي خاصة وحدة ناقلة لما في ذات المخاطب، أو المبدع أي أن القطب المؤثر هنا هو الباث، بما يفتح باب الإقناع والحجاج، لكي يصنع تصورا صحيحا لما يريد نقله للمتلقي، فهنا يحاول المبدع أن يثبت خطابه الأدبي، ويضمن له النجاح والقبول، في ذات المتلقي والتأثير، إضافة إلى الوظيفة الانفعالية نجد أيضا الوظيفة الإفهامية كمظهر جلي لوجود الحجاج في الخطاب الأدبي،

حيث « يطلق عليها بعض اللسانين الوظيفة التأثرية، وتبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه، كما تتميز من الناحية التواصلية بالأمر والنداء وكذلك نجدها تهيمن وتفرض كثافة حضورها في الأدب الملتزم والروايات العاطفية لأن هذين اللونين الأدبين يعتمدان على مخاطبة الآخر، ومحاولة التأثير عليه وإقناعه»[6]

ما نلمحه أيضا أن الخطاب، بمفهومه الشامل بنية حجاجية، قائمة على التفاعل والتأثير، وهذا ما نجد أيضا في الخطاب الأدبي، فبنيته أيضا قائمة على الحجاج، ومحاولة التأثير في المتلقي، بما يفتح باب قبول الخطاب الأدبي لدى المتلقي والتأثر به، وبذلك تذوقه لدى المتلقي، والسمو بنفسه بما يفتح باب التسامي والتمايز في الخطابات الأدبية بما يضع المتلقي مسؤولا عن ترتيبها وتصاعدها جماليا، حيث تكون الحجج في ذلك هي درجة التأثير في ذات المتلقي .

3.الحجاج كوجه جديد للبلاغة الجديدة:

ارتبطت البلاغة الجديدة بكل من « بكل من بيرلمان وألبريخت تتيكا اثر صدور كتابهما (المختصر في الحجاج) الذي ظهر بمنتصف القرن العشرين، وقد ربط البلاغة بالحجاج » [7] حيث ارتبطت البلاغة الجديدة بالإقناع الذي يسعى إليه المخاطب من خلال خطابه الحجاجي ولقد عنيت بالمفاهيم التالية « الاقتناع من جهة أولى ..وتهتم بالمخاطب أكثر من المتكلم من جهة ثانية، وتجمع بين الجدل والخطابة من في بوتقة من واحدة من جهة ثالثة، وتؤسس البلاغة على أساس الحجاج من جهة رابعة وتعنى بمقدمات الحجاج وتقنياته من جهة خامسة، وسادسا شمولية الخطابات الحجاجية لتشمل السياسية والقانونية ...فمن خلال ما سبق نأخذ أن الحجاج أخذ الوجه الجديد للبلاغة »[8]، الكثير من الدارسين يعتبرون أن هو الوجه الأول للبلاغة الجديدة، لأنه يعمل على إقناع المتلقي ومحاولة وتسليمه القطعي بما جاء به الخطاب،

الحجاج «يقوم على استخدام الحجج والأدلة والبراهين، والمقاييس من أجل إقناع الغير بصحة القضية، أو الدعوى، أو تفنيدها وتكذيبها وتغليطها بآليات حجاجية، مقنعة ومن هنا يسعى إلى التأثير من جهة أولى، والإقناع من جهة ثانية ، والاقتناع من جهة ثالثة، والبرهنة و الاستدلال من جهة رابعة» [9]، أي أن الحجاج يقوم على مجموعة من الخطوات بدءا من التأثير، وهذا ما ترصده الآليات الحجاجية في الخطاب، ثم ما يكون به الإقناع حاضرا في ذهنية المتلقي، أي التسليم الكائن بمضمون الخطاب، ثم نجد ما يقوم به الحجاج من برهنة لمعطيات موضوع الخطاب ثم ما ينشأ به الاستدلال القائم على برهنة الخطاب، وما جاء به من براهين، فهو يسعى إلى أن يسلم المتلقي بما جاء في هذا الخطاب .

اعتبر الحجاج في المفهوم المعاصر، كبنية بلاغية جديدة حيث أن كلا من رائداه « شاين بيرلمان وأولبريخت، ربطا البلاغة الجديدة بالحجاج والإقناع متأثران بذلك بالفيلسوف اليوناني أرسطو ومن ثم لا يرى بيرلمان أي فرق بين البلاغة والحجاج مادام هدفهما واحد هو الإقناع والتأثير على حد سواء، وقد ارتكز على بيرلمان على ثلاثة مرتكزات أساسية، في الخطاب البلاغي: هي اللغة (اللوغوس)،والمرسل(الإيتوس)، والمرسل إليه (الباتوس)، فلقد أسس بيرلمان البلاغة الجديدة وقد انتشرت النظرية بشكل كبير في سنوات السبعين من القرن العشرين» [10]. لقد تمت تقوية الدراسة

الحجاجية في الوقت المعاصر « حيث تم إعادة دراسة الحجاج في الوقت المعاصر، و وفقا لمتطلبات العصر، التي أصبحت تركن إلى المادية لا الجمالية في كثير من الأحيان »[11].

الحجاج ينتمي إلى حلقين في الخطاب بالعموم، يعدان مما يتحكم به في الخطاب، وفي العملية التبليغية بالعموم هذان الحقلان هما البلاغة التي هي فن الإقناع والتأثير، إلى جانب التداولية التي تحكم نجاح السياق التواصلي للخطاب عامة، والخطاب الأدبي خاصة، يقول الباحث الألماني «إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصويرية واللغوية يصلح لإحداث التأثير، الذي ينشده المتكلم في موقف محدد ويرى ليتش أن البلاغة في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان اشكالية علاقتهما، باستخدام وسائل محددة للتأثير»[12]، الوسائل المحددة للتأثير هي ما تصنع أفق الحجاج كبلاغة واردة، في الخطاب عموما وفي الخطاب الأدبي خصوصا، حيث أن الحجاج يمنح سلطة في الخطاب عامة ، و إذا استعمله الأديب كانت له تلك السلطة بغض النظر عن ماهية الخطاب، فيكون كلامه لا نقاش فيه، وخاصة فيما يعرف بأدب الالتزام، إلى جانب أن الخطاب الحجاجي، يشعر فيه المتلقي بحالة المسيطر عليه في شبكة ذلك الخطاب، إنه يمنح بعدا جماليا للخطاب، لأنه يضيف طرف الحوارية بين المخاطب والمتكلم، وهذا الاستلزام الحواري أصبح معروفا لتعريف الخطاب في العصر الحديث «فالحوارية أصبحت سمة أساسية في كل خطاب »[13] ربما لا يكون الحجاج بين المبدع والمتلقي، مباشرة ولكنه يكون بين المتكلم وقارئ ضمني، يتناسب في أحوال كثيرة مع فئات متعددة في المجتمع، كذلك الحجاج يكون بين الشخصيات في الروايات كالروايات البوليسة، كرواية شفرة دافنشي، وغيرها الكثير من الروايات، فهذه السلطة التي يمنحها الحجاج نجدها أيضا مما يخضع له الخطاب الأدبي، فهي هنا تخضع إلى « عدم توازن في قوى، حيث يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه، و ينشأ عدم التوازن من عدة مصادر من ذلك قدرة الإنسان اللغوية»[14]، فاللغة قاسم مشترك لجميع الخطابات، والحجاج يعتبر من استراتيجية صنع الخطاب، وهو يدخل في الإقناع الذي يدخل في مبنى الخطاب الذي يكون فيه المتكلم يسعى إلى التأثير على المخاطب، أي الإقناع والتسليم حيث « يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب، لفعل أو ترك، بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره، كل منهما أو يعتبره الخطيب شرطا كافيا وقبولا للفعل أوالترك»[15].

يؤثر الحجاج في المتلقي، و يمكن حتى أن يغير في شخصية المتلقي في الشعور أو اللاشعور، أي لا يحس المتلقي بذلك التغير، ولكن ذلك التغير ينسج على عقله شبكة، فيستقطب إلى ما تأثر به فيجذبه حتى في الحياة العادية وكلما كانت ملكة الأديب أقوى كانت حجته أقوى، هناك من يرى من المنظرين لعملية الحجاج أنه« في هذه النظرية ذو علاقة دلالية، تربط بين الأقوال بحيث يوهم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم، لقول معين، يعتبر حجة تستهدف، إقناع المستمع بقوله، سواء كانت النتيجة صريحة أم ضمنية، وهي علاقات خطابية لا يحكمها الاستلزام، المنطقي، وتسير المواضع

الحجاجية تلك العلاقات وتؤطرها»[16] ومن تقنيات الحجاج أنه يكون ظاهرا، وقد يكون تلميحيا، و الثاني نجده في كثير من الخطابات الأدبية.

و البلاغة دائما تتوسم نجاحها بوجود الحجاج «فقد تؤثر وتستميل وتمتع ولكنها لا تقحم وتفحم إلا إذا تلاحمت مع الحجج والمحاججة »[17].

أصبح الحجاج وجها ظاهرا للبلاغة كمقوم يسمح لها ببلوغ مرادها من هذا الخطاب، والذي أنشأ من أجل أن يقنع المتلقي على العمل به أو تركه، فالحجاج في الخطاب يسعى إلى أن يؤثر على ذهنية المتلقي بمبدأ افعل أو لا تفعل، وهذا ما يبشر أن الحجاج بلاغة جديدة و واردة للخطاب والخطاب الأدبي خاصة ، فالحجاج هو الطريقة الفضلى لتحقيق مقاصد الخطاب والخطاب الأدبي خاصة، فهو يعمل على أن يقتنع المتلقي بما هو موجود في مضمون الخطاب والتسليم به .

4. آليات الحجاج:

تنقسم آليات الحجاج إلى:

- أدوات لغوية صرفة: مثلا ألفاظ التعليل، الأفعال اللغوية
- آليات بلاغية :مثل تقسيم الكل إلى أجزائه و الإستعارة، البديع .

الآليات شبه المنطقية :ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية مثل الروابط الحجاجية : لكن، حتى، فضلا عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد، والإحصاءات وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية»[18] أما بيرلمان واضع البلاغة الجديدة «يضع منطومة منطقية صورية من الحجج والأدلة التي يستخدمها المتكلم والخطيب لإقناع الآخر أو جعله يقتنع بما يقدمه له من قضايا وأقوال، لا يهتم بيرلمان بطريقة التعبير، والتلفظ بقدر ما يهتم بالحجج، والأدلة التي تجعل المخاطب يقتنع الأطروحة الموجهة إليه، فلسفيا، أو قضائيا، أو لسانيا، أو أدبيا، ويقسمها بيرلمان، إلى حجج واصلة :الأدلة التي تقرب بين العناصر المتباعدة المتباينة منذ البداية، من المقدمة إلى الخاتمة، أي أنها تجعل الخطاب في انسجام .

الحجج الفاصلة: وهي التي تفصل بين المفاهيم والعناصر، التي تشكل كلا مترابطا، فهي تقنية تقتضي الفصل بين بنية الأصل فيها الوصل وهي ثنائيات فلسفية، فأن تأتي بما كان في المجال وتفصله فذلك للإدغام في الخطاب وتبينه أكثر»[19]

إن الحجاج في الوقت الراهن لم يبقى أليف الخطاب الشفوي، بل تعمق وأدغم مع الخطابات الكتابية، التي شهدت توسعا وتناميا في المعارف، والتوجهات، فكل كاتب ومبدع يدلي بدلوه ولن تكون له المكانة بين الكتاب ولا مكانة لخطابه عند القراء مالم يقم خطابه على الحجاج والحوار وهذا ما يرام في الخطاب الأدبي.

فلكي يظفر الأديب بنجاح خطابه الأدبي ويضمن له الخلود عليه، أن يحاجج ويتقن فن القول فبذلك يجذب القارئ، وينجح عمله الأدبي، كما أن الحجاج يظهر أهمية المتلقي في العملية الأدبية فالمتلقي يستشعر نفسه في الخطاب الذي بين يديه، إن الحجاج يصنع من البنية الخطابية للأدب فنا خاصا، فإلى جانب الجمالية يكون التواصل حاضرا في الخطاب الأدبي مما يضفي للخطاب الأدبي أبعادا أخرى فالصور الأدبية التي يوظفها الأديب من أجل التوضيح والجمالية أصبحت حجاجا وخاصة مع وجود السياق «إن من أهم مظاهر كفاءة المحاجج منهجه في بناء خططه القولية ورؤيته التي يؤسس عليها إختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات التي من حقها التقديم في مقام خاص ومع جمهور بعينه»[20]، فهنا الحجاج يسهل على المبدع تحقيق مقصديته من خلال خطابه الأدبي .

مما سبق نرصد آليات الحجاج في الخطاب الأدبي:

1-آليات لغوية صرفة: مثل الفاظ التعليل والأفعال اللغوية

2-آليات البلاغية: استعارة، تشبيه،...

3-آليات شبه منطقية :الروابط الحجاجية :لكن، إن، ومن الحجج شبه المنطقية (القياس الخطابي تقوم على وجود مقدمتين كبرى وصغرى وتستخلص منها نتيجة ضمنية وهو يمثل أبرز الحجج المبتكرة وأكثرها اقناعا وتأثيرا على السامع)[21]

4-الحجج الواصلة: التي تقرب بين أجزاء الخطاب، مثل الأمثلة والشواهد

5-الحجج الفاصلة: وهي التي تفصل بين الأجزاء المرتبطة منطقيا.

5.تبين مظاهر الحجاج في مقطع من رسالات الشيخ الإمام الإبراهيمي

يقول رحمه الله تعالى: (يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو، فاتخذوه عدوا، وإن الاستعمار شر، ومحال أن يأتي الشر بالخير، ومحال أن يجني من الشوك العنب)[22].ويقول في نهاية المقطع (لا اندماج إلا في بعضكم، ولا اتحاد إلا لأجزائكم الطبيعية بعضها مع بعض).[23]

1.5.في خطاب الشيخ الإبراهيمي :

عرف الشيخ الابراهيمي ببلاغته وفصاحته، واتقانه لفن الخطابة، خدمة لقضايا أمته ووطنه الذي عرف بمحبته الكبيرة له، فلقد وجد أن الخيط الذي يربط بين الخطيب والجمهور هو الخطابة وكلما كانت خطابته أقوى كان تأثيره أقوى لهذا سعى الشيخ إلى الرفعة بخطابه من أجل أن يجد آذانا صاغية في مجتمعه الذي يتخبط في ويلات الاستعمار وويلات الجهل « فقد كان رحمه الله تعالى، إماما في العربية وبلاغتها، تفقه في أسرارها واستنار بقرآنها، وكان خطيبا مصقاعا يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من سلطان »[24] .

الشيخ الابراهيمي جاهد بقلمه من أجل أن يخرج الشعب الجزائري من ظلمات الجهل، التي أغرقها فيها المحتل، فجاء بأسلوب أدبي جمالي، مقنع يبعث في النفس شرارة الحرية، والتحدي، من أجل رفع غبن المحتل الغاشم فكان خطابه « حادا ينم عن حرقة ومعاناة، وايمان بقضية ومشروع، تمكن الابراهيمي من استرداف المتضادات كقيمة حجاجية، تشكل منظومة متجانسة، وقد راكمت مخزونها المعرفي المتصل بالتراث، والشعور بالحيف والقهر، و العذابات في ظل استعمار غشوم، والصورة ذاتها التي ذاقت العبودية، والذل، الضعف والهوان، الموت والفناء يستحضرها الخطيب وقد امتزجت الروح مع المخاطبين، ليدرك أن التداول في حركة الحياة، لإدارة الصراع بين الحق والباطل »[25]،فهنا جاء بمنظومة لغوية حجاجية، تبرز الصراع بين الخير والشر، وأن الاستعمار شر ولو بدا غير ذلك، ولا يمكن أن يوجد شر وخير في مكان واحد، فعلى الإنسان الأبي أن يعمل على كسر قيد المستعمر، والعيش بحرية كما دعا في خطابه إلى أن يكف دعاة الإدماج عن قولهم عن أن الاحتلال فيه خير وأن لا يسير الشعب الجزائري خلف هذه الأقوال المدمرة التي تدعوا إلى الرضا بذل الاستعمار وهوانه، لقد جعل من قلمه سيفا صارما لمحاربة المستعمر و ما زاد في جزالة أسلوبه هو «غزارة علمه، وبلاغة قلمه وقوة حجته وفصاحة لسانه ولباقته في الحديث إلى مستمعيه مهما كانت درجتهم الاجتماعية»[26].

لقد سعى الشيخ بخطابه إلى حفظ الهوية الإسلامية التي حاول المستعمر محوها، بمختلف الطرق، إلى جانب ذلك رفضه لسياسة الإدماج التي دعا إليها المستعمر، والدعوة إلى الثورة ضد هذا المحتل الغاشم ..

2.5.الآليات الحجاجية في الخطبة :

1.2.5-آليات لغوية الصرفة: يصف الكاتب أن(الاستعمار شر)، (ومحال أن يأتي الشر بالخير) وهنا يعلل لنا أن الاستعمار شر، ومادام شر فإنه لا خير فيه، لأنه لم يأتي يوما الشر بخير، وهذا ما أورده لنا الشيخ في خطابه .

وقد أورد ذلك لكي يبين لنا أن الاستعمار لا خير فيه، ولقد أورد(ومحال أن يجني من الشوك العنب) الشوك لا يجنى منه العنب حجة دامغة، في ظلم الاستعمار الغاشم، فكما أنه لا يجنى من الشوك العنب، فإن الاستعمار لا يرجى منه الصلاح .والعلة أيضا في قوله أيضا أن الإدماج لا يكون مع المحتل بل هو تلاحم لأجزاء طبيعية بعضها من بعض (ولا اتحاد إلا لأجزائكم الطبيعية بعضها مع بعض) .

2.2.5-آليات البلاغية : الآليات البلاغية في المقطع نجدها قائمة كمثال ذلك التشبيه البليغ، والذي جاء به في خطابه، كنوع قوي من التشبيه، فقال (الاستعمار شيطان) هنا بلاغة للقول أن الاستعمار هو الشيطان، الذي لا يريد الخير للإنسان، ولا خير فيه ولو أبدا غير ذلك، ومورد قوله أيضا التشبيه البليغ في قوله (الاستعمار شر) فهنا تأكيد لقول الأول أن (الاستعمار شيطان)مقيت، ما نزل

بأرض إلا جعل أهلها صاغرين مذلين ، وهنا أضاف في قوله البليغ أن يؤكد قوله بحقيقة مطلقة، تسلم لها الأذهان والعقول، وهي أنه كما (لا يجنى من الشوك العنب) فهي حجة مطلقة، لمن يرى أن في الاستعمار خيرا، وفي سياسة الإدماج حلا، فلا خير ولا حرية مع محتل غاشم نزل بأرض غير أرضه وجعل من الخمسين خمسة ومن الستين ستة، فالمحتل هو غاصب للأرض وجب محاربته، وأخذ الأرض منه قوة لا طلبا، لأنه فناء لأهلها وفناء للوطن .

3.2.5-آليات شبه المنطقية :

من الحجج شبه المنطقية، نجد توافر هذا النص على أدوات التوكيد (إن)، حيث تكررت في سطري الخطبة خمس مرات، (إن الاستعمار شيطان)، (إن الشيطان لكم عدو)، (إن الاستعمار شر)، (محال أن يأتي الشر بالخير)،(محال أن يجني من الشوك العنب)، فلقد أورد الكاتب هذه الحجج، وجاء بأسلوب التأكيد، ليؤكد للمتلقي حجته، وبذلك يسلم بأمر الخطاب، ولا يركن (خاصة المتلقي الجزائري إبان الثورة) بالقبول بعملية الإدماج، التي يدعوا إليها المستعمر.

من الحجج شبه المنطقية نجد أيضا القياس الخطابي، حيث جعل في خطابه مقدمتين، خطبة كبرى وخطبة صغرى، فالخطبة الكبرى التي جاء بها الأديب عدم قبول الإدماج والرضوخ للمستعمر، والخطبة الصغرى هي التلاحم الوطني للجزائريين ضد المستعمر، والنتيجة التي نخرج بها هي اتحاد الجزائريين، والثورة ضده، حتى نيل الاستقلال، وعدم الاستماع للأصوات الناهقة التي تؤيد سياسة الإدماج، فالاستعمار شر لا مفر منه وجب الإتحاد ضده من أجل نيل الاستقلال ..و قد استلهم أيضا الشيخ الإمام خطابه من مضمون

قوله تعالى (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35)) من سورة محمد، ومن قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)) من سورة البقرة .

4.2.5-الحجج الواصلة : الترابط بين أجزاء الخطاب، نحو أن المقدمة : يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان وفي الخاتمة أتى بمثال :لا يجنى من الشوك عنبا، كما أن هذا بني على تسلسل خطابي، عن طريق الربط بين (الاستعمار /شيطان)(الاستعمار/شر)(الشيطان /عدو)(الشر/الخير)(الشوك/العنب).

فهناك علاقة دلالية وعلاقة متناقضة، بين الأطراف، كما أن الأفعال أوردها في صيغة الأمر وذلك ليزيد في حجاجية الخطاب (فاتخذوه) وأورد قبل الأفعال التي هي أفعال المستعمر لفظة (محال) حتى يقنع المتلقي بوجهة نظره وبما يكون من المستعمر الغاشم.

5.2.5- الحجج الفاصلة: وصفه للاستعمار بالشيطان، ثم وضعه مكانه فقال(الشيطان لكم عدو)، ثم وضع مكانه كلمة(الشر) التي في مجال الكلمة، وكل هذا الفصل من أجل المحاججة والإقناع. لقد أورد الشيخ حجاجه في الخطاب من أجل الإصلاح .

3.5-خلاصة التحليل الحجاجي :

-الحجج القائمة في الخطاب الأدبي للأديب البشير الإبراهيمي، ساهمت في اتساق الخطاب الأدبي وإضافة جمالية بلاغية، لذات الخطاب، كما أنها أضافت بعدا إقناعيا له.

-إن هذا الخطاب الأدبي للشيخ الإبراهيمي، بحججه القائمة التي وردت في الخطاب، هي إقناع لكل متلقي بمختلف الزمان والمكان بشر الاستعمار، وهذا حقا ما يورده الواقع .

-خطاب الإمام البشير الابراهيمي خطاب أدبي حجاجي، يسعى إلى الاقناع والتسليم بما هو موجود في ثنايا الخطاب الأدبي ويسعى بمضمون خطابه أن يصلح حال المجتمع ولقد زاوج فيه الاقناع والامتاع، فالأسلوب الأدبي الجمالي كان أيضا مما حافظ عليه الشيخ ي خطابه الأدبي .

ويمكن أن تمثل الغايات الحجاجية من خلال هذا الخطاب الأدبي والحجاجي إلى :

-المحافظة على الهوية العربية الإسلامية الجزائرية.

-رفض سياسة الإدماج و إخراص الأبواق الطالبة بذلك .

-التلاحم الوطني، من أجل رفع راية الاستقلال، وحفظ الكرامة الوطنية .

-إفشال مخططات المستعمر، وإظهار وجهه الحقيقي للناس والجزائرين خاصة .

-عدم التنازل عن حق الحرية و الاستقلال .

مما سبق نضع مخططا لحجاجية الخطاب الأدبي:

الحجاج في الخطاب الأدبي:

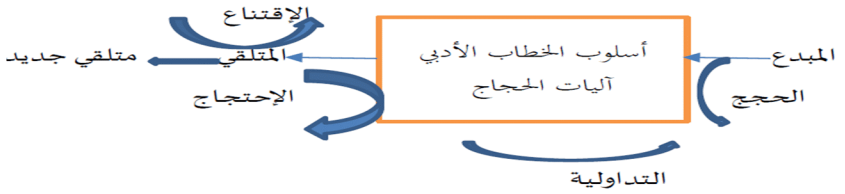

6.خاتمة:

- الحجاج هو صنف تداولي بامتياز، يعمل على إنجاح العملية التواصلية وضمان بلاغة الخطاب.

- اعتبار الحجاج بلاغة هو أمر وارد ، ولكن اعتباره بلاغة جديدة للخطاب الأدبي وتحريره لذلك والغوص فيه يفرض علينا أن نعمل على تنمية حقله وتطويره بعديد الدراسات الأدبية كالشعرية وربطه بالسياق الجمالي للخطاب والتخيلي القائم على كثير من غير الحقيقة، وبذلك يكون لنا الحجاج الوجه الجديد للبلاغة المرتبطة بالخطاب الأدبي .

-الحجاج أيضا هو صفقة رابحة للخطاب الأدبي، مما يجعل المتلقي يذوب في ذهنية العمل الأدبي

وبالتالي تلقيه والتسليم بما هو موجود في مضمون الخطاب الأدبي، مما يجعل لهذا الخطاب الأدبي مكانة لدى العديد من القراء .

-كذلك في الخطاب الأدبي الغالب فيه الجمالية الأسلوبية، التي يضعها الأديب ليزيد من بلاغة خطابه الأدبي وهذه البلاغة الجديدة لا تضعها في حسبانها والتي موردها الحجاج

وهنا كان على البلاغة الجديدة التي تعنى بالحجاج، أيضا أن تتلاحم مع الدراسات الأسلوبية حتى تكون موردا جديدا للبلاغة الجديدة للخطاب الأدبي .

- للحجاج مكانة سامية في الخطاب عامة، والخطاب الأدبي خاصة ، فهو يعمل على منح السلطة للأديب لإنجاح خطابه .

ما نستطيع أن نقوله أخير أن حقل الحجاج هو حقل خصب وكنز مستتر مزال البحث فيه قائما فوجب التنقيب فيه من أجل إدراك نفائسه ودرره وربطه مع الدراسات الأخرى والسعي به أيضا أن يكون بلاغة جديدة للخطاب الأدبي الحديث.

الهوامش:

[1]-ينظر كاتي ويلز، معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2016، ص2013

[2]- ينظر جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص44

[3]دنيان مكدونيل، مقدمة في نظرية الخطاب، ترجمة عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكادمية القاهرة، 2001، ص27

[4]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي .دار الطليعة، بيروت، ص89

[5]- - ينظر، رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1988، المغرب، ص28

[6]- ينظر، الطاهر بوزمبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الإختلاف، الطبعة الأولى، بيروت، 35إلى ص39 .

[7]-جميل حمداوي، رواد البلاغة الجديدة، دار الريف للطبع والنشر، ، الطبعة الأولى، المملكة المغربية، 2021، ص09

[8]-ينظر، جميل حمداوي مقومات البلاغة الجديدة دار الريف للطبع والنشر، الطبعة الأولى، المغرب، 2021، ص15

[9]- جميل حمداوي، شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، دار الريف للطباع والنشر الإلكتروني، الطبعة الأولى، الناظور الرباط، 2019، ص05

[10]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص84

[11]-ينظر، مقدود يوسف، زروقي عبد القادر، بلاغة الخطاب الشعبي، مقاربة حجاجية لشعارات الحراك الشعبي الجزائري، مجلة لغة وكلام، المجلد 06، العدد 04، غليزان الجزائر، 2020، ص195إلى 207، ص198.

[12]- نعمان بوقرة، مصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، الطبعة الأولى، عمان الأردن، 2009، ص124

[13]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، بنغازي ليبيا، 2008، ص177

[14]- عبد الهادي بن ظافري الشهري، استراتيجيات الخطاب مقربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، بنغازي، ليبيا، 2004، ص224

[15]-مرجع نفسه، ص451

[16]- باسم خيري خيضر، الحجاج وتوجيه المخاطب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب نباتة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2019، ص38

[17]- -محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، مرجع سابق، ص179

[18]- عبد الهادي بن ظافري الشهري، استراتيجيات الخطاب مقربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ، ص477

[19]- ينظر، جميل حمداوي، شاييم رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، 2019، ص45

[20]- باسم خيري خيضر، الحجاج وتوجيه المخاطب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب نباتة، مرجع سابق ، ص70

[21]-نور الدين بوزناشة، الحجاج في خطب البشير الابراهيمي بحث في الحجج النصية، مجلة الآداب والحضارة الإنسانية، العدد 20، جانفي 2017، من 109، إلى 154، ص116

[22]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الثالث، بيروت، 1997، ص288

[23]-مرجع نفسه، ص289.

[24]-باجي بن عودة، استراتيجية الحجاج في خطب البشير الابراهيمي -مقاربة تداولية -جسور المعرفة، المجلد 6، عدد 4، السنة ديسمبر 2020، الصفحة 109 إلى 129، ص117

[25]-مرجع نفسه ، ص 126

[26]- نور الدين بوزناشة، الحجاج في خطب البشير الابراهيمي بحث في الحجج النصية، مجلة الآداب والحضارة الإنسانية، العدد 20، جانفي 2017، من 109، إلى 154ص111